منهج الدكتور تمام حسان في تفسير النص القرآني من خلال كتابه "البيان في روائع القرآن"*

الدكتور يحي بعيطيش
جامعة قسنطينة

ملخـــص:

الأستاذ الدكتور تمام حسان، قمة شامخة في حقل اللسانيات العربية الحديثة مشرقا ومغربا، ولا أحد من اللغويين المعاصرين ينكر مجهوداته الكبرى التي أثمرت وأتت أكلها، إن على مستوى التأطير والتدريس في الجامعات العربية مشرقا ومغربا، وتخريج جيل من اللسانيين النوعيين أو على مستوى التعريف باللسانيات الحديثة وبنظرياتها الأساسية، أو المساهمة الإبداعية في مجال توليد المصطلح اللساني الأصيل، وخاصة نظريته النحوية الحديثة المعروفة بنظرية "القرائن النحوية" أو بالأحرى " نظرية تضافر القرائن النحوية القائمة على فكرة تضافر القرائن اللفظية والمعنوية في تحديد المعنى، التي تضمنها كتابه: اللغة العربية معناها ومبناها.

إن هذه النظرية الديناميكية، لم تقتصر على التنظير الشامل الذي حقق لها الكفاية العلمية، التي تجسدت في ضبط وتقنين البنية اللغوية أو النحوية للغة العربية فحسب، بل سعت ولا تزال في سعي دؤوب إلى تحقيق الكفاية المراسية أو التطبيقية، بمحاولة استثمارها وتوظيف مفاهيم مصطلحاتها في دراسة النص القرآني وفهمه

---

* – أصل هذه الدراسة مداخلة قدمت في المؤتمر الدولي حول " القضايا اللغوية والأدبية في الدراسات الإسلامية خلال القرن العشرين " أيام: 21 22 23 فبراير 2009 جامعة القاهرة.

وتفسيره، وهو ما أنجزه الدكتور تمام حسان في كتابه القيم "البيان في روائع القرآن" الذي هو في الحقيقة تطبيق عملي لنظريته .

ومن هذا المنطلق، فإني أطمح في هذه الدراسة أن أسلط الضوء على ثلاثة محاور أساسية:

أولا: مفهوم الكفاية العلمية لنظرية القرائن النحوية:

ويقوم جوهرها على مفهومين أساسيين:

1 ــ مفهوم البنية: ويتجسد في القرائن اللفظية التي تشمل: الإعراب والرتبة والصيغة والمطابقة والربط والتضام والأداة والتنغيم .

2 ــ مفهوم الوظيفة: ويتحقق في القرائن المعنوية المختلفة التي تضم: الإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية .

ثانيا: مفهوم الكفاية المراسية أو التطبيقية لنظرية القرائن النحوية:

وفيها نمحص كفايتها التطبيقية بتتبع أهم القرائن اللفظية والمعنوية المستثمرة في فهم النص القرآني وتفسيره من جهة، وكشف خصائص المنهج التمامي في دراسة وتحليل هذا النص من جهة أخرى.

ثالثا: محاولة تقويم منهج تمام حسان بالوقوف على ما له وما عليه..

مـــدخـــل:

نشير في البداية إلى أن نظرية تضافر القرائن النحوية لم تظهر إلى الوجود بين عشية وضحاها، وإنما هي جملة من المفاهيم والأفكار، نضجت على نار هادئة طوال نصف قرن أو يزيد، منذ رجوع صاحبها من بعثته من الغرب سنة 1952[1] وتبنيه للمنهج الوصفي البنيوي الذي تشبع به، وقدم من خلاله قراءة نقدية فاحصة للتراث النحوي العربي، اكتشف من خلالها ثراءه وعبقرية نحاته الكبار أمثال سبويه وعبد القاهر الجرجاني، انتهت به إلى إعادة صياغة جديدة للنحو العربي، في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" سنة 1973 الذي ضمنه نظريته النحوية التي زاوج فيها بين المنهج البنيوي الوظيفي وبين ما يلائمه من أفكار سبويه وخاصة أفكار نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني التي سبق بها الكثير من النظريات النحوية الحديثة[2] وعلى رأسها مفهوم أو فكرة التعليق التي هي أساس أو جوهر نظرية القرائن النحوية.

فقد بدأت الانطلاقة الحقيقية لمشروع تمام حسان اللغوي بكتابه "مناهج البحث في اللغة" سنة 1955[3] الذي بشر فيه بالمنهج الوصفي، وطبقه على اللغة العربية الفصحى من خلال تحليله لمستوياتها الخمسة: الصوتي الصرفي النحوي المعجمي الدلالي.

ويعد كتاب "اللغة بين المعيارية والوصفية"[1] مكملا لمناهج البحث، رسخ فيه المنهج الوصفي وانتقد فيه المنهج العياري الذي اتسمت به الدراسات النحوية القديمة.

---

[1]- ينظر المسيرة العلمية للدكتور تمام حسان بالتفصيل في:

عبد الرحمن حسن العارف: تمام حسان رائدا لغويا عالم الكتب بالقاهرة 2002

[2]- في نظرية النظم خامات كثيرة من النظريات النحوية الحديثة، كالبنيوية والتوليدية التحويلية والوظيفية والتداوليات...

[3]- صدرت طبعته الأولى سنة 1955 مكتبة الإنجلو المصرية

وإذا كان المنهج الوصفي هو الدعامة الأولى لنظرية القرائن النحوية، فإن كتاب "الأصول"[2] الذي قدم فيه الدكتور تمام دراسة ابستيمولوجية معرفية لجذور الفكر اللغوي العربي ومصادره في ثلاثة حقول لغوية كبرى هي النحو وفقه اللغة والبلاغة، يعد الدعامة الثانية لنظريته[3]، وبذلك تكون نظرية القرائن النحوية التي بلورها في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"[4] والتي ضمنها خلاصة أفكاره عن المنهج الوصفي، وما اختاره من التراث اللغوي القديم، قد جمعت بين الأصالة والمعاصرة.

في حين كان كتابه "مقالات في اللغة والأدب"[5] بمثابة تدعيم لمشروعه اللغوي التجديدي، وتثبيت لنظريته ومنهجه بالأدلة والبراهين، من خلال مجموعة من الدراسات والبحوث، دارت حول اللغة تعليما ونقدا، نشر بعضها في مجلات علمية وألقى بعضها في ملتقيات وندوات علمية متخصصة.

أما كتبه الثلاثة: "التمهيد في اكتساب اللغة"[6] "البيان في روائع القرآن"[7] و"الخلاصة النحوية"[8] فهي تطبيقات عملية لنظرية القرائن اللغوية، اختص أولها بتعليم

---

[1]- صدرت طبعته الأولى سنة 1958 مكتبة الإنجلو المصرية

[2]- صدرت طبعته الأولى سنة 1981 عن دار الثقافة بالدار البيضاء المغرب

[3]- كتاب الأصول في الحقيقة كان أسبق من كتاب " اللغة العربية معناها ومبناها " غير أن ظروفا شخصية حالت دون ذلك، ينظر مقدمة كتاب الأصول ص 8 و9

[4]- صدرت طبعته الأولى سنة 1973 الهيئة المصرية العامة للكتاب

[5]- صدرت طبعته الأولى سنة 1985 مطبوعات جامعة أم القرى بمكة المكرمة

[6]- صدرت طبعته الأولى سنة 1984 مطبوعات جامعة أم القرى بمكة المكرمة

[7]- صدرت طبعته الأولى سنة 1993 عالم الكتب بالقاهرة

[8]- صدرت طبعته الأولى سنة 2000 عالم الكتب بالقاهرة

اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى، واختص ثالثها بتعليم اللغة العربية لأبنائها، واختص الكتاب الثاني بتطبيق القرائن النحوية على دراسة النص القرآني لغويا وأسلوبيا.

ونخلص بعد هذا العرض الموجز لمؤلفات تمام حسان أن نلفت الانتباه إلى أن إطار هذه الدراسة يفرض علينا جملة من القيود أهمها:

أ ــ الاكتفاء بعرض موجز لأهم القرائن النحوية في كتابي "البيان في روائع القرآن" و"اللغة العربية معناها ومبناها" سواء تعلق الأمر باستخلاص مكونات الكفاية العلمية أو بتمحيص الكفاية المراسية.

ب ــ الابتعاد عن التفاصيل والشروح التي لا يتحملها الوقت أو الحيز المخصص لهذه الدراسة

ج ــ عدم قياس كفاءة نظرية تضافر القرائن النحوية بهذه الدراسة المقتضبة المتواضعة

أولا: الكفاية العلمية لنظرية القرائن النحوية:

نعني الكفاية العلمية في أية نظرية تناسق جملة المفاهيم المشكلة لجهازها المصطلحي وتماسكها وشموليتها وقدرتها على وصف الظاهرة التي تدرسها وتفسيرها تفسيرا علميا دقيقا.

ومن هذا المنطلق يمكن القول إن الجهاز المصطلحي لنظرية تضافر القرائن النحوية قد تجسدت في جملة من المفاهيم، يتقاطع أغلبها مع مفاهيم نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ومفاهيم النظرية البنيوية الوظيفية الحديثة[1]، تنتظم في مكونين

---

[1]- نقصد بالبنيوية الوظيفية الحديثة بنيوية دوسوسير القائمة على ثنائياته المشهورة: الدال/المدلول، المحور التركيبي / المحور الاستبدالي التعاقب / التزامن ... والقيم الخلافية التي اشتهرت بها النظرية

الظاهرة أو المقدرة، والنصب علامة المفعولية وحركته الفتحة ظاهرة أو مقدرة..وكذا الجر علامة الإضافة وحركته الكسرة، سواء كانت ظاهرة أم مقدرة.. ولعل ما يحسن إثباته في هذا الصدد أن صاحب النظرية يرى أن النحاة القدماء قد بالغوا كثيرا في إعلاء شأن العلامة الإعرابية إلى درجة أن المتأخرين منهم حصر النحو فيها، وهي في حقيقة الأمر ليست إلا قرينة من ضمن عدة قرائن..وقد لاتسمن ولا تغني من جوع حين يكون الإعراب تقديريا أو محليا[1].

1 ــ 1 ــ 2 قرينة الرتبة: وهي قرينة نحوية ووسيلة أسلوبية إبداعية[2]، وهي في النحو نوعان:

أ ــ رتبة محفوظة: وهي قرينة لفظية تحدد بواسطتها معاني الأبواب النحوية، بحيث لو اختلت لاختل معها التركيب السليم، من ذلك مثلا تقدم الموصول على صلته، والموصوف على صفته، والفعل على فاعله، وصدارة حروف وأسماء الاستفهام...

ب ــ رتبة غير محفوظة: كرتبة المبتدأ والخبر ورتبة الفاعل والمفعول به والحال...

ولعل أهم شيء في قرينة الرتبة أنها تخضع لمطالب أمن اللبس؛ إذ يتطلب في بعض السياقات ضرورة حفظها لتميز الفاعل من المفعول كما في قولنا قتل موسى عيسي، حيث لا نعرف الفاعل إلا بحفظ الرتبة، أما في حالة أمن اللبس فيمكن أن نستغني عن الرتبة بالعلامة الإعرابية كما في قولنا مثلا: أكل الكمثرى موسى.

1 ــ 1 ــ 3 قرينة الصيغة: تكون الصيغة قرينة لفظية أو علامة دالة على الباب النحوي، فالفاعل مثلا أو المبتدأ لا يتوقع لهما إلا أن يكونا غير اسم، وأن صيغة الفعل

---

[1]- نفسه، ص 205.

[2]- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 67.

اللازم لا يتعدى إلى المفعول إلا بواسطة، وعكسه الفعل المتعدي يتعدى إلى المفعول بدون واسطة...

1 ــ 1 ــ 4 قرينة المطابقة: وتكون في الصيغ الصرفية وفي الضمائر، فلا مطابقة في الأدوات والخوالف مثلا، وتكون المطابقة في جملة من الأمور التالية[1]:

أ ــ العلامة الإعرابية (الرفع، النصب، الجر، الجزم)

ب ــ الشخص (التكلم، الخطاب، الغيبة)

ج ــ العدد (الإفراد، التثنية، الجمع)

د ــ النوع (التذكير، التأنيث)

هـ ــ التعيين (التنكير والتعريف)

وفائدة المطابقة أنها قرينة لفظية توطد الصلة بين أجزاء التراكيب التي تتطلبها، وبدونها يتفكك نسيج العبارات ويفسد المعنى.

1 ــ 1 ــ 5 قرينة الربط: هي قرينة لفظية تصل بين أجزاء الكلام بعضها ببعض، سواء كانت أساسية أو غير أساسية، بروابط معينة أشهرها الربط بالضمير الغائب، واسم الإشارة وإعادة اللفظ..كما سنرى في التطبيق على النص القرآني في المحور الثاني.

---

[1]- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص ص 211 ــ 212.

1 ــ 1 ــ 6 قرينة التضام: وهي قرينة تتعلق بالضمائم المتلازمة، كما في تلازم الصفة مع الموصوف في ضميمة واحدة، وحروف الجر بمجروراتها، ولزوم واو العطف لمعطوفين وواو الحال لجملة الحال[1]..

1 ــ 1 ــ 7 قرينة الأداة: وهي قرينة لفظية تشمل الأدوات المستخدمة في التعليق، وهي نوعان: نوع يتعلق بالجمل ورتبته الصدارة على وجه العموم، كأدوات الاستفهام والشرط والنهي والنفي..

ونوع خاص بالمفردات ورتبته التقدم دائما، كالنواصب والجوازم والتحقيق والتنفيس وواو المعية..

1 ــ 1 ــ 8 قرينة التنغيم: يعتبر التنغيم قرينة لفظية ضمن إطاره الصوتي الذي تنطق به الجملة في السياق، حيث يكون مثلا الهيكل التنغيمي للجملة الخبرية مخالفا للهيكل التنغيمي لجملة الاستفهام أو جملة التعجب ..فهو أي التنغيم في الكلام الشفهي يقوم مقام علامات الترقيم كالنقطة والفاصلة وعلامة الاستفهام والتعجب..

2 ــ مفهوم الوظيفة:

وملخصها أن البنية أو البنى التي سبق الحديث عنها في مفهوم البنية، سواء كانت حرف معنى أم أداة أم صيغة أم كلمة أم جملة أم نصا، ترتبط ربط تبعية بمعنى معين قد يكون وظيفيا أو معجميا أو غرضيا مرتبطا بالمعاني النحوية العامة (كالخبر والاستفهام والأمر والنهي...).

مفاد ذلك أن كل ما ينسب إلى البنى أو المباني السالفة الذكر من المعاني هو في واقع الأمر وظائف تؤديها هذه المباني في السياق[1]، ضمن ما يسميه بالعلاقات السياقية

---

[1]- ينظر التفاصيل في: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناه، ص ص 215 ــ 224.

أو ما يسميه الغربيون "syntagmatic relations" أو التعليق بمصطلح الجرجاني[2] أو محور التركيب "Axe syntagmatique" عند البنويين الغربيين.

وفي هذا الإطار يميز النحاة بين المعنى المفيد الخاص بالجملة، وهو المعنى اللغوي المستفاد أو المستخلص من تركيب الجملة ككل وبين معنى الجملة الغرضي أو المعنى العام المستخلص من الأسلوب (الخبر، أو الاستفهام ..) والمعنى المفرد الخاص بالكلمة سواء تعلق الأمر بالمعنى المعجمي أم معنى الصيغة الصرفية أم معاني المورفيمات، كحروف الصيغة الزائدة في الافتعال والاستقبال...

ويضاف إلى كل ذلك ما يعرف بتعدد المعنى الوظيفي الذي نجده على مستوى كل البنى السابقة، إن على مستوى الأدوات أو الحروف، كتعدد معاني "إن" التي تصلح للشرط والنفي أو مخففة من الثقيلة وكتعدد معاني صيغة استفعل التي قد تكون للطلب أو الصيرورة أو الجعل.. أو كعبارة "بارك الله فيك" التي تصلح للإثبات أو الدعاء أو السخرية..

2 ــ 1 القرائـــن المعنويـــة:

هي جملة الأمارات أو العلامات السياقية التي تتضافر مع القرائن اللفظية لتحديد المعاني النحوية المختلفة، وتشمل جملة من القرائن أهمها[3]:

2 ــ 1 ــ 1 الإسناد: علاقة ذهنية تتجسد في موضوع هو المسند إليه، يحمل أو يسند إلى محمول هو المسند، وترتبط هذه العلاقة نحويا في الجملة الاسمية بارتباط المسند

---

[1]- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 09

[2]- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص 189

[3]- ينظر **التفاصيل في:** تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السابق، ص ص 191 204

إليه بالمبتدأ والمسند بالخبر، وفي الجملة الفعلية يرتبط المسند إليه بالفاعل أو نائب الفاعل والمسند بالفعل والرابط المعنوي بينهما هو الحمل أو الإسناد، كما يمكن لهذه العلاقة أن تكون في جملة إنشائية (استفهامية أو أمرية..)، وتتضافر القرائن اللفظية كالحركة الإعرابية والرتبة والمطابقة وغيرها.. لبناء هذه العلاقة وتحديد نوعها، مما يدل دلالة قاطعة أن قرينة واحدة لا تدل بمفردها على معنى بعينه[1].

2 ـ 1 ـ 2 التخصيص: وهو علاقة سياقية أو معنوية كبرى، تتفرع عنها جملة من الخصائص يمكن أن نحصر معانيه نحوية في الجدول الآتي[2]:

القرينة المعنوية	مـــعـــنـــاهـــا
ـــ التعدية	ـــ المفعول به
ـــ الغائية	ـــ المفعول لأجله
ـــ المعية	ـــ المعية
ـــ الظرفية	ـــ المفعول فيه
ـــ التحديد والتوكيد	ـــ المفعول المطلق
ـــ الملابسة	ـــ الحال
ـــ التفسير	ـــ التمييز
ـــ الإخراج	ـــ الاستثناء
ـــ المخالفة	ـــ الاختصاص وبعض المعاني الأخرى

[1]- نفسه، ص 193

[2]- نفسه، ص 194

ومما تجدر ملاحظته أن هذه المعاني المتفرعة عن التخصيص تعتبر قيودا على علاقة الإسناد، فكل علاقة منها تعبر عن جهة خاصة في فهم معنى الحدث الذي يشير إليه الفعل أو الصفة؛فإن قلت مثلا:

أتيت رغبة في لقائك، تكون قد أسندت الإتيان إلى نفسك مقيدا بسبب خاص هو الغاية، وهي قرينة معنوية دالة على وظيفة المفعول لأجله.وقل مثل ذلك في قرينة المعية الدالة على وظيفة المفعول معه وبقية القرائن .

2 ــ 1 ــ 3 المناسبة: علاقة معنوية كبرى كالتخصيص، لكنها تختلف عنه إذ معنى التخصيص تضييق ومعنى النسبة إلحاق، فهي قيد عام على علاقة الإسناد أو ما وقع في نطاقها، وهي الأخرى تتفرع إلى فروع يتعلق أغلبها بمعاني حروف الجر، وقد عد منها صاحب النظرية تسعا وعشرين قرينة كقرينة ابتداء الغاية مع حرف الجر "من" وانتهاء الغاية مع "إلى"، ومعنى الظرفية مع "في" والملكية مع "اللام" والاستعلاء مع "على"... وبعضها بالإضافة[1].

2 ــ 1 ــ 4 التبعية: قرينة معنوية عامة يندرج تحتها أربع قرائن هي النعت والعطف والتوكيد والبدل، وتتضافر هذه القرائن المعنوية مع بعض القرائن اللفظية كالمطابقة الإعرابية بين التابع والمتبوع وقرينة الرتبة التي يكون فيها التابع دائما متأخرا عن المتبوع[2]..

---

[1]- نفسه، ص 204.

[2]- نفسه، ص 204

ثانيا: الكفاية المراسية أو التطبيقية لنظرية القرائن النحوية:

سبقت الإشارة إلى أن نظرية القرائن النحوية قد امتدت على مسافة زمنية تجاوزت نصف قرن من الزمن يمكن لمتتبعها عن كثب أن يميز فيها مرحلتين أساسيتين هما مرحلة التأسيس والتنظير التي بدأت سنة 1952 وعرفت انطلاقتها الحقيقية بكتابه "مناهج اللغة" سنة 1955.

أما المرحلة المراسية أو التطبيقية فقد بدأت في منتصف الثمانينات مع كتبه الثلاثة التي ظهرت على التوالي: "التمهيد في اكتساب اللغة لغير الناطقين بها" سنة 1984 و"البيان في روائع القرآن" سنة 1993 و"الخلاصة النحوية" سنة 2000 ولا تزال هذه المرحلة مستمرة ـــ أمد الله في عمر أستاذنا الدكتور تمام حسان وبارك فيه ـــ إلى يومنا هذا.

وغني عن البيان أن مرحلة التنظير هي الأخرى، بقيت مستمرة إلى أيامنا هذه، لكن بكيفية أنضج وأعمق، إن في مقدمات كتبه السالفة الذكر، أو في بحوث مستقلة كما يبينه كتابه "خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم"[1].

وبذلك يتضح أن الكفاية المراسية لنظرية القرائن النحوية تعني تطبيقاتها العملية في مجال تعليمية اللغات للناطقين بغير العربية أو للناطقين بها من أبنائها، من جهة ولدراسة النص القرآني لغايات مختلفة ثلاث: تعليمية وجمالية نقدية وتفسيرية، كما سيتضح في منهج صاحب نظرية القرائن النحوية في دراسة النص القرآني من خلال كتابه "البيان في روائع القرآن" الذي هو موضوع دراستنا.

---

[1]- تمام حسان: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1427 هـ 2006م.

1ـ منهج الدكتور تمام حسان في تحليل النص القرآني:

يحسن في بداية حديثنا عن منهج الدكتور تمام حسان في تحليله للنص القرآني أن الدافع لدراسته للنص القرآني كان دافعا تعليميا بالدرجة الأولى، دعاه إليه ارتباطه بالعمل البيداغوجي في معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، حيث كان مشرفا فيها على قسم التخصص اللغوي والتربوي للطلبة الناطقين بغير العربية، ومعدا لمفردات مادة "دراسات لغوية وأدبية في القرآن" ومدرسا لها[1].

أضف إلى ذلك الدافع الديني الذي كان يشعر به تجاه النص القرآني وهو يقرؤه خاشعا لجلاله مستمتعا بجماله[2] من جهة، وحاجة الدارسين المسلمين غير العرب إلى فهم مضامين هذا النص ومعرفة بعض أسرار جماله وإعجازه من جهة أخرى.

1 ـ 1 المبادئ العامة للمنهج:

يمكن للمتفحص الممحص لما ورد في فصول كتاب " البيان في روائع القرآن بجزأيه أن يستخلص منها جملة من المبادئ العامة، أهمها:

1 ـ 1 ـ 1 مبدأ المواءمة بين الأصالة والمعاصرة: زاوج فيها بين بعض أفكار سبويه بصفة عامة وبعض أفكار عبد القاهر الجرجاني بصفة خاصة، وبين مفاهيم وأفكار البنيويين والفونولجين من المحدثين، وركب منها منهجه الوصفي الوظيفي أو البنيوي الوظيفي.

---

[1]- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص 07.

[2]- نفسه، ج1، ص 07.

1 ــ 1 ــ 2 مبدأ ترابط البنية بالوظيفة: ويتجسد في تلازم المبنى، سواء كان حرف معنى أو صيغة صرفية أو نمطا جمليا في آية أو سورة بالمعاني المختلفة، سواء كانت معاني نحوية خاصة (كالفاعلية والمفعولية..) أو غرضية عامة (كالخبر والاستفهام والتعجب.. والمعاني المختلفة التي يخرج إليها كل أسلوب)، أو معجمية أو مقامية .

1 ــ 1 ــ 3 مبدأ تضافر القرائن النحوية: ويتحقق في تشابك القرائن اللفظية ممثلة في الإعراب والرتبة والمطابقة والربط وغيرها بالقرائن المعنوية كالإسناد ومعاني التخصيص وغيرها، حيث يكون تفسير الآيات في السور القرآنية المختلفة محصلة تفاعل تلك القرائن .

1 ــ 1 ــ 4 مبدأ زيادة المبنى هي زيادة في المعنى: ومعنى ذلك أن الصيغ والأنماط التركيبية المختلة ليست مجرد أشكال ومبان وإنما هي معان تتقمص مباني.

1 ــ 1 ــ 5 المعنى هو الأصل في اللغة، ولذا ليس للنحو غاية إلا الوصول للمعنى

1 ــ 1 ــ 6 مبدأ الاستعانة بالسياق الخارجي عن النص القرآني: ويتمثل في استعانة المؤلف بعلوم أخرى غير لغوية وعلى رأسها "أسباب النزول" والتاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع وعلم النفس..

1 ــ 1 ــ 7 مبدأ أن القرآن يفسر بعضه بعضا، ومفاد معنى هذا المبدأ أن النصوص والآيات يفسر بعضها بعضا

1 ــ 1 ــ 8 الفصيح لا يخطئ وإنما يترخص إذا أمن اللبس: ومعنى ذلك أن الترخص عند الفصيح درجة من درجات الصواب، رغم مخالفته القاعدة المتبعة، كما في

عبارة "خرق الثوب المسمار" بضم الثوب ونصب المسمار، وكما في آية "إن هذان لساحران"

1 ــ 2 المميزات الخاصة: انطلاقا من الدافعين التعليمي والديني يمكن أن نميز ثلاث خصائص أو غايات لمنهج تمام حسان في كتابه السالف الذكر هي:

1 ــ 2 ــ 1 الغاية التعليمية: ونلمسها في تطبيق معظم القرائن اللفظية في الجزء الأول من كتاب "البيان في روائع القرآن " والقرائن المعنوية في الجزء الثاني منه، وقد تجسدت الغاية التعليمية بصورة واضحة في ملمحين أساسيين:

أ ــ التزام الدكتور تمام حساب دائما بتقديم ملخص نظري موجز في بداية الدراسة للقرينة اللفظية أو المعنوية وتفرعاتها..

ب ــ التمثيل التطبيقي للقرينة موضع الدراسة بتعقبها وتتبع ورودها في آيات كثيرة من سور القرآن الكريم .

1 ــ 2 ــ 2 الغاية الجمالية: وتتجسد خاصة في الفصل الرابع عشر الموسوم بـــ "الصحة والجمال في النص القرآني" الذي تتبع فيه جملة من الظواهر الفنية والخصائص الجمالية، على مستوى الأصوات والمفردات والتراكيب والتناص والأسلوب، ويمكن أن نلحق بالخصائص الجمالية مباحث الفصل السابع في الجزء الأول التي مثل فيها للإيقاع والنبر وحسن التأليف[1] ..

1 ــ 2 ــ 3 الغاية التفسيرية: ونلمحها في مجموعة من فصول الجزء الثاني التي خصصها للقرائن السياقية، من ذلك مثلا الفصل التاسع الذي خصصه لتفسير سورتي "الرحمن والواقعة" تحت عنوان "تأملات في سورتي الرحمان والواقعة" والفصل العاشر

---

[1]- ينظر التفاصيل في المرجع نفسه، ج1 ص ص 175 ــ 228

الذي خصصه لسورة "يوسف عليه السلام" بعنوان "قصة يوسف عليه السلام كما تعرضها السورة" والفصل الثاني عشر الذي قدم فيه تفسيرا موجزا لخمس سور هي على التوالي: سورة الفرقان وسورة الشعراء وسورة النمل، وسورة القصص وسورة العنكبوت.

ويمكن أن نستنتج مما تقدم أن كتاب "البيان في روائع القرآن" لا يعد في حقيقة الأمر كتاب تفسير للنص القرآني، كما هو الحال مع كتب التفسير المخصصة للتفسير السور القرآنية من بداية المصحف إلى نهايته، وإنما هو دراسة تطبيقية وافية لنظرية القرائن النحوية، على القرآن الكريم، هيمنت عليه الغاية التعليمية، ثم تلتها الغاية التفسيرية بصفة أقل ثم الغاية الجمالية بدرجة أقل.

1 ــ 3 منهجية كتاب "البيان في روائع القرآن":

يتألف الكتاب من جزئين كبيرين مصدرين بمقدمة مختصرة قدم فيها لمحة موجزة عن المصطلحات أو المفاهيم المفتاحية لنظرية القرائن النحوية، وقد بلغت صفحات الجزء الأول اثنتين وخمسمائة (502) صفحة، وبلغت صفحات الجزء الثاني ثمان وثلاثين وأربعمئة (438) صفحة.

وقد ضم الجزء الأول المخصص للقرائن اللفظية خمس عشرة فصلا، توزعت كالأتي:

الفصل الأول: الإعراب في التركيب القرآني

تتبع فيه بالتفصيل قرينة الإعراب في تراكيب عدة من سور القرآن الكريم، عارضا لها بالتمثيل والشرح والتأويل لظواهرها المختلفة، كظاهرة التقدير والحذف، وما يعرض للإعراب من ظواهر تبديل المواقع

الفصل الثاني: البنية في التركيب القرآني

عرض فيها لقرينة الصيغة بالتمثيل والشرح متبعا تعدد معانيها الوظيفية والمعجمية من جهة، وتعدد معاني صيغها الصرفية، وانتقال معاني مباني التقسيم: الاسم والمصدر والوصف والفعل والضمير والظرف والأدوات إلى معاني أخرى.

الفصل الثالث: قرينة الرتبة في التركيب القرآني

مثل فيه للرتبة المحفوظة وغير المحفوظة، وشرح فيه التطورات الجديدة لقرينة الرتبة كالرتبة ورعاية الفاصلة، واللف والنشر وترتيب الأشياء.

الفصل الرابع: قرينة التضام في التركيب القرآني

مثل فيه بالتفصيل لقرينة التضام وأنواعها المختلفة، كالمعاقبة والتضاد والتكامل والتتابع والافتقار والتنافي والتنافر، ولعل التطوير الملاحظ في هذا الفصل أنه أدخل مصطلحي محور التركيب ومحور التقليب المعروف بمحور الاستبدال.

الفصل الخامس: قرينة الربط في التركيب القرآني

عرض فيه لأنواع الربط المختلفة: الربط بالتكرار وبأل والمطابقة وبالضمير (الضمائر المختلفة وضمير الشأن)، وبالحروف الداخلة على المفردات والأدوات الرابطة بين الجمل..

الفصل السادس: قرينة السياق في التركيب القرآني

وتم فيه التمثيل لتعدد معنى النمط التركيبي، ولدلالة السياق بمبناه ومعناه، وللسياق كقرينة اجتماعية أو تاريخية أو جغرافية.

الفصل السابع: تأملات في القيم الصوتية في القرآن الكريم

فصل فيه الحديث عن قرينة التنغيم والإيقاع والنبر والمناسبة وحسن التأليف والالتزام ببنية الصيغة الصرفية، والزوائد واللواصق ..

الفصل الثامن: الرخصة في التركيب

تحدث فيه عن مفهوم الرخصة وهو مفهوم جديد يتعلق بالخروج عن القواعد المألوفة نتيجة لمن اللبس كما في العبارة المشهورة "خرق الثوب المسمار"[1] ثم مثل لها بآيات مختلفة من سور القرآن الكريم شملت الرخصة في قرينة الرتبة والربط والتضام والإعراب

الفصل التاسع: تنوع معاني مشتقات المادة الواحدة

شمل مادة "أ ت ى" ومشتقات القدر والإحسان، وتلحق هذه المشتقات بظاهرة تعدد معاني الصيغة

الفصل العاشر: فروق في معاني المفردات القرآنية

يتصل تطبيق هذا الفصل بتعدد المعاني المعجمية، وقد شمل تعدد معاني ما ولا في النفي، وأدوات الشرط ومفردات المعجم: مثل الرحمن الرحيم، الآخرة والأولى، الحق، الكتاب، الدين، أمة، مشتقات "ف ت ح" "وزن" "ع د ل" .

الفصل الحادي عشر: النمط التركيبي في القرآن الكريم

يرتبط تطبيق هذا الفصل بتعدد المعنى الوظيفي بحسب الأصل أو النقل، وقد شمل تعدد معاني النمط المثبت، والمنفي والشرطي، ونمط تعدد الأمر والنهي والاستفهام، والغرض والتحضيض ...

---

[1]- نفسه، ص ص 229 ــ 230

الفصل الثاني عشر: ألفاظ وعبارات مختارة

يمثل هذا الفصل لاختيار النص القرآني لألفاظ لها معاني متعددة خارج السياق إما بصيغتها الصرفية أو بمادتها المعجمية، لكن الاختيار المناسب للسياقات يصبح قرينة سياقة لتحديد معناها الوظيفي أو الغرضي من جهة، ويشيع فيها نوعا من الصياغة الفنية التي ترتاح لها النفس.

الفصل الثالث عشر: العلاقات الملحوظة في النص القرآني

يطرح هذا الفصل جملة من المباحث النظرية مشفوعة بأمثلة تطبيقية، دارت حول الربط بين الجمل ونقد موقف البلاغيين منها، ومبحث مفهوم سياق الموقف في الدراسات الحديثة، وموقف علماء النص منها، ثم التمثيل لجملة من العلاقات، كعلاقة السببية وعلاقة التفسير والنقض والإبطال والترتيب والتعقيب والملابسة والإلزام والالتزام وإجابة عن السؤال الوارد.

الفصل الرابع عشر: الصحة والجمال في النص القرآني

وهو فصل كما سبقت الإشارة إليه خاص بجملة من الظواهر الفنية والخصائص الجمالية، على مستوى الأصوات والمفردات والتراكيب والتناص والأسلوب.

الفصل الخامس عشر: صفات القرآن في القرآن

يمكن القول في هذا الفصل إنه دراسة معجمية للألفاظ التي وصفها القرآن نفسه، تتبع فيها المؤلف مجموعة كبيرة من الألفاظ الدالة على هذا الغرض، كوصف القرآن لنفسه بأنه كتاب هدى وكتاب موعظة وكتاب صدق ورحمة وذكر وذكرى وتذكرة وحق وبشرى وعربي ومحكم...

ولعل ما يجدر تسجيله في ختام هذا العرض الموجز أن كل القرائن اللفظية قد وجدت تطبيقاتها في فصول هذا الجزء الأول.

أما الجزء الثاني المخصص للقرائن المعنوية أو السياقية، فقد اشتمل على اثني عشر فصلا، يمكن للمتفحص فيها أن يقسمها إلى ثلاثة أقسام:

أ ــ **قسم التطبيقات:** ويشمل خمسة فصول هي على التوالي:

الفصل الأول: دلالة الكنائيات في النص القرآني

مثل فيه لمعاني السياقية للضمائر والموصولات والإشارات(أسماء الإشارة)، وأمن اللبس وشبه القصر والمقابلة..

الفصل الثاني: مفهوم المسافة في النص القرآني

وضح فيه المؤلف بأمثلة تطبيقية من الآيات القرآنية مفهوم المسافة النحوية، والمسافة بين طرفي الإسناد والمسافة والنص والمسافة والإضمار وآداب المخالطة.. إلى جانب التعدية والمجرور والمتعلق...

الفصل الثالث: الأسلوب العدولي في القرآن الكريم

مثل فيه للأسلوب العدولي والرخصة، والعدول عن أصل البنية، إشراب الخبر معنى الشرط، العدول عن أصل الرتبة، العدول عن أصل التضام..الاعتراض، الحذف، الزيادة...

الفصل الرابع: المؤشرات الأسلوبية في القرآن

مثل فيه بالتفصيل لمجموعة من القرائن المعنوية: كالتعميم والتنكير والتأكيد بالصيغة وبضمير الشأن وبالحرف، والتعليل والإحالة المرجعية...

الفصل الخامس: أساليب التوجيه في النص القرآني

عرض فيه لأنواع مختلفة من الأساليب، كالأمر ودلالاته، والكف بواسطة النهي، والحض بصورة الشرط والتكليف والوعيد والتعجب بواسطة الاستفهام، والتوبيخ بواسطة الاستفهام الإنكاري...

ب ــ قسم المضامين العامة: ويشمل فصلين:

الفصل السادس: الجانب الخلقي في القرآن الكريم

ويشمل جملة من الموضوعات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ذم الإصرار على الكفر، ذم المكابرة، ذم الكيد، ذم النفاق، ذم الكذب، الدعوة إلى محاسن الخلق، الدعوة إلى الصبر وإلى العفو...

الفصل السابع: أسلوب الدعوة في القرآن الكريم

تناول فيه جملة من الأساليب، نوجز أهمها في: الحوار، التعليق على قول الخصم، الإنكار عليه، الدعاء عليه، الوعيد السخرية، ضرب المثل، الحجاج...

ج ــ قسم التفسير: ويشمل خمسة فصول هي على التوالي:

الفصل الثامن: النص القرآني يفند أكذوبة الغرانيق

يتحدث في بداية الفصل عن أهم مبدأ من مبادئ تفسير القرآن الكريم وهو "أن القرآن يفسر بعضه بعضا"، ملاحظا عدم التزام المفسرين به، ثم يستدل على ذلك بقصة الغرانيق ثم يستعرض آراء بعض المفسرين، كرأي الواحدي في أسباب النزول ورأي ابن كثير في تفسيره، ورأي القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ورأي أبي حيان في البحر المحيط، وبعد تحليله لتلك الآراء ومناقشتها يخلص إلى دلالة تفسير الآية 52 من سورة الحج ...ألقى الشيطان في أمنيته ..." من خلال محيط النص وسياقه.

الفصل التاسع: تأملات في سورتي الرحمان والواقعة

فسر فيه سورة الرحمان والواقعة من خلال ارتباطهما ببعضهما

الفصل العاشر: قصة يوسف عليه السلام كما تعرضها السورة

فسر السورة من خلال استعانته بالإشارات التاريخية والجغرافية التي حدد بواسطتها زمان القصة ومكانتها، ثم تتبع سرد أحداث القصة مسلطا الضوء على شخصياتها وحبكتها ونهايتها السعيدة باجتماع شمل العائلة..

الفصل الحادي عشر: بنو إسرائيل في القرآن الكريم

بعد أن بين في مطلع الفصل المغزى من القصص القرآني تتبع بداية قصة بني إسرائيل في مصر، ميلاد موسى عليه السلام، رحلته إلى مدين، عودته إلى مصر وصراعه مع فرعون، وغرق فرعون، تجاوزات بني إسرائيل بعد العبور، عقوبات الصاعقة والغضب والتيه، اللعن والذلة والجلاء عن الديار .

الفصل الثاني عشر: الهيكل البنيوي لبعض السور في القرآن الكريم

شرح فيه خمس سور كما ذكرنا سابقا هي: سورة الفرقان والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت.

ثالثا: تقويم عام لمنهج تمام حسان:

بعد العرض الموجز لمفاهيم نظرية القرائن النحوية وإسقاطاتها التطبيقية الوافية على النص القرآني نحاول في نهاية المطاف أن نقدم تقويما موضوعيا لكفايتها العلمية والتطبيقية، مع الإقرار منذ البداية أن الحكم للأستاذ الدكتور سهل ميسور إذ يكفي أن تنظر إلى هذا الكم النوعي والكيفي لبحوثه التي دارت حول النظرية أو حول تطبيقاتها، لتحكم له بالريادة ووسعة العلم وأنه علم من أعلام الدراسات اللغوية الحديثة، ولعلي

لا أكون مبالغا إن قلت بأنه لو لم يكن له إلا كتابه القيم "البيان في روائع القرآن" الذي ناهز ألف صفحة لكان من علماء اللغة البارزين.

لكن الحكم عليه قد يكون صعبا ومحفوفا بالمزالق، ومع ذلك فإني سأحرص ما وسعني الحرص على ألا أكون مجازفا أو متجنيا على أستاذنا الدكتور تمام حسان الذي نكن له كل الاحترام وكل التقدير

1 ــ تقويم الكفاية العلمية: وننطلق فيها من مواءمته بين المنهج المعياري عند النحاة المبدعين كسيبويه وعبد القاهر الجرجاني الذين أقر لهما بالفضل في أكثر من موضع من كتبه، وبين المنهج البنيوي الوظيفي أو المنهج الوصفي الوظيفي، حيث انتهج ما يمكن أن نسميه بمبدأ التحلية والتخلية؛ فالتحلية تعني الأفكار والمفاهيم التي أخذها من التراث وحلي أو زين بها نظريته، وتعني التخلية جملة الأفكار التي طرحها أو تخلى عنها بعد انتقادها، فقد أخذ على المستوى الأول من عبد الفاهر الجرجاني بعض المفاهيم على رأسها مفهوم التعليق والرتبة والربط والمطابقة .. مما يدخل في القرائن اللفظية، ومعاني النحو والإسناد التخصيص وما يتفرع منه، كالتعدية والغاية والمعية والملابسة ..إضافة إلى أفكار كثيرة كمفهوم العموم والخصوص والكلي والجزئي والمطلق والمقيد ...التي أخذها من الأصوليين[1]، إذ تدخل هذه الأفكار في القرائن المعنوية أو السياقية، وبذلك يكون قد طعم وحلى نظرية القرائن النحوية بالكثير من الأفكار التراثية.

---

[1]- ينظر أحمد المتوكل:

Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe, publication de la faculté des lettres et des sciences humaines de Rabat 1982, pp: 147 – 161.

ولا غبار على ذلك، فله الفضل في تدقيق الكثير من هذه الأفكار وتعديل بعضها وإعادة ترتيبها وتوزيعها وتنسيقها، لكن ما يؤاخذ عليه في التخلية أنه طرح أو تخلى عن بعض المفاهيم الأصيلة، كانتقاده للتقسيم الثلاثي لأنواع الكلم الذي لا يقره عليه أغلب المحدثين، وتبنيه تقسيما سباعيا اختلف فيه الأستاذ على معاييره حتى مع طلابه[1].

ولعل أشد ما يؤاخذ عليه، هو إقصاؤه لنظرية العامل التي يصفها بأنها خرافة[2] !! مع أن الكثير من المحدثين يرون أنها من أرقى ما أبدع الفكر العربي[3]، ويكفي أن نجد نظرية خاصة بفكرة العامل تحمل اسم نظرية الربط العاملي (the theory of government binding)[4] في نماذج النحو التوليدي التحويلي، كما نجد بعض اللغويين المحدثين الكبار أمثال الدكتور الحاج صالح يقيم نظريته المعروفة باسم النظرية الخليلية الحديثة[5] على أساس عاملي، وهو في سعي دؤوب لصياغة فكرة العامل صياغة رياضية، من أجل حوسبتها وتطويعها للغة الإعلام الآلي.

---

[1]- فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلم العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة 1977 ص ص 165 ــ 170

[2]- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ط3 الهيئة المرية العامة للكتاب، ص 189

[3]- ينظر: دراسة عبده الراجحي في:

عبد الرحمن حسن العارف: تمام حسان رائدا لغويا عالم الكتب بالقاهرة 2002

[4]- ينظر: عبد القادر الفاسي القهري:

some concepts and consequences of the theory of government and binding, MIT Press, Combridge Mass

[5]- ينظر: عبد الرحمن حاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها وأسسها، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، كراسات المركز ع: 04، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائر 2007.

ولعل المرء قد يجد بعض العذر للدكتور تمام حسان في مراحله الأولى (بداية السبعينيات) لكنه يعجب من تشبثه بالمنهج الوصفي الذي زالت دولته، بظهور العديد من المناهج والنظريات النحوية الحديثة سواء ضمن الدائرة الوظيفية أم الملفوظية أم الدلالية أم التداولية أم النصية، الأمر الذي يطرح بحدة قضية أخرى تتعلق بمواكبة ومراقبة التطورات في المسيرة المضفرة للسانيات الحديثة، فقد عرفت النظريات اللغوية بصفة عامة والنظريات النحوية بصفة خاصة، في العقود الأخيرة من القرن العشرين، انفجارا معرفيا كبيرا، أمطر حقول الدراسات الإنسانية بصفة عامة واللسانية بصفة خاصة بسيول من المصطلحات والمفاهيم التي تأثرت بها الكثير من المناهج والنظريات اللغوية، تطورت بموجبها النظريات النحوية وتطبيقاتها في مجالات متعددة، كمجال تعليمية اللغات والترجمة والنقد الأدبي ..

ولعل الأسئلة التي تفرض نفسها علينا في هذا السياق هي: ما موقع نظرية القرائن النحوية من هذه التطورات ؟ وهل أفادت من بعض المفاهيم القريبة منها ؟ وهل أفادت على الأقل من المفاهيم الوظيفية الحديثة التي عرفت الكثير من النظريات النحوية الوظيفية بدءا بنظرية الوجهة الوظيفية لماتيزيوس الشيكي مرورا بنظرية النحو النسقي لهالداي، وانتهاء بنظرية النحو الوظيفي لسمون ديك[1] التي طوعها الدكتور أحمد المتوكل للنحو العربي وطبقها عليه بأصالة واقتدار[2]؟ وأين هي نظرية القرائن النحوية من الوظائف الدلالية والتداولية الدقيقة في الأنحاء الوظيفية الحديثة ؟...

---

[1]- ينظر مجموعة النظريات الوظيفية في الفصل الثالث من:

أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري.منشورات عكاظ.الرباط المغرب 1989، ص ص 91 ــ 169.

[2]- ينظر التعريف بنظرية النحو الوظيفي العربي أطروحة دكتوراه دولة للباحث:

حقا قد تطول الأسئلة التي تطرح في نظرية تضافر القرائن النحوية وتطول معها الصفحات الكثيرة التي تجيب عنها، لكن إجابة موضوعية مختصرة واحدة ستفرض نفسها، وهي أن نظرية القرائن النحوية لم تواكب التطورات الحديثة[1] وظلت بعيدة عنها مما أضفى عليها طابع السكونية وأبعدها عن الديناميكية التي تقاس بها فعالية أي نظرية حديثة .

2 ــ تقويم الكفاية المراسية:

إن ما يمكن تسجيله من إيجابيات الكفاية التطبيقية هو أنها أوفر حظا من الكفاية العلمية، لأن التطبيق عليها كان شاملا مستوفيا كل القرائن النحوية اللفظية والسياقية، فقد تناول الدكتور تمام حسان كل قرينة في فصل خاص بها مستقصيا كل تفرعاتها متتبعا كل خصائصها، كما أضاف بعض الظواهر التي اختص بها النص القرآني من استعمالات معجمية وإيقاعات خاصة ..فضلا عن تتبعه الدقيق للروابط والإحالات النصية، إن على مستوى المباني أو المعاني، وهي نقلة نوعية ارتقت بالكثير من القرائن اللفظية أو السياقية من الجملة إلى النص، حيث أدرجت بعض القرائن اللفظية ضمن الاتساق أو السبك (Cohésion)، وبعض القرائن السياقية ضمن الانسجام أو الملاءمة (Cohérence) .

أما العثرات أو النقائص على هذا المستوى، فيمكن إجمالها في الآتي:

يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة مرقونة، مكتبة جامعة قسنطينة 2006.

[1]- ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، المغرب .د.ت، ص ص 191 ــ 195.

أ ـــ إدراج بعض القرائن المعنوية أو السياقية مع القرائن اللفظية، قد أورد في الفصل السادس من الجزء الأول الخاص بالقرائن اللفظية جملة من المباحث المعنوية، كالقرائن السياقية والاجتماعية والتاريخية، وقل مثل ذلك في الفصل الثالث عشر الذي حشر فيه مبحث سياق الموقف وعلاقة السبب والتفسير مع القرائن اللفظية.

ب ـــ التعثر أو الالتباس في بعض التفسيرات أو التأويلات، كتأويله الغامض لبعض المنصوبات من ذلك مثلا ما قاله في تفسير لفظة "سلاما" في الآية الكريم من سورة الذاريات "...إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام" (الذاريات /25) يقول: "قدر النحاة ناصبا للمصدر أصله" نسلم تسليما "وبذلك ينقلب المعنى رأسا على عقب فيتحول إلى الخبر بعد أن كان للإنشاء، ولو كان خبرا لارتفع المصدر كما ارتفع المصدر الثاني في الآية، وقد جاء ردا على التحية، إذ قال إبراهيم لضيفه وقد ارتفع المصدر الثاني على الإخبار لأنه استجابة لإنشاء التحية الذي عبر عنه المصدر الأول"[1].

لقد حرصت على نقل هذه الفقرة الطويلة بنصها عن قصد ليتضح لنا لبسها وبعدها عن التفسير الصحيح، فما هو الضرر حين تكون الجملة خبرية ؟ أليس الأصلح أن تكون جملة فعلية خبرية تفيد التجدد في تحية الملائكة عليهم السلام لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وأن المصدر المرفوع "سلام" في الجملة الاسمية الخبرية جاء مناسبا في سياق أو مقام رد النبي إبراهيم التحية بأحسن منها، لأن الجملة الاسمية تفيد الثبات والدوام، كما ذهب إلى ذلك الزمخشري في الكشاف.

ج ـــ الاعتماد على المناهج القديمة في دراسة النص الأدبي، وقد تجسد ذلك في الدراسة الأدبية التي قدمها الدكتور تمام حسان في تفسيره لسورة يوسف عليه السلام

---

[1]- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1 ص: 21.

في الفصل العاشر من الجزء الثاني حيث قدم لنا دراسة أدبية للقصة تناول فيها شخصيات القصة وزمنها وحبكتها وأحداثها.. لكن بطريقة تقليدية لا أثر فيها للمناهج النقدية الحديثة التي تأثرت تأثر مباشرا بالنظريات اللسانية الحديثة بصفة عامة والنظريات النحوية بصفة خاصة، كالمنهج البنيوي والمنهج التفكيكي وخاصة المنهج السميائي الذي اعتمد بكثرة في تحليل ودراسات النصوص السردية في القصص أو الروايات الحديثة.

خـــاتـــمـــة:

بعد العرض الموجز الذي حاولنا من خلاله أن نستخلص منهج تمام حسان في تفسير النص القرآني من خلال كتابه "البيان في روائع القرآن" يمكن أن نخلص إلى القول بأن المنهج التمامي منهج لغوي حديث، جمع بين الأصالة والمعاصرة من جهة وبين القرائن اللفظية والسياقة من جهة أخرى.

ولتحديد خصائص ومميزات هذا المنهج، كان لزاما علينا أن نوضح الكفاية العلمية لنظرية القرائن النحوية ممثلة في تضافر جملة من القرائن اللفظية (كقرينة الإعراب والرتبة والمطابقة والربط...)، والقرائن السياقة (كقرينة الإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية)، بحيث تتفاعل لتكون جهازا متكاملا يعالج به النص القرآني تفسيرا وتحليلا وفهما لأسراره وجمالياته.

وبعد تتبعنا لتمثيلاته الشاملة على كل القرائن اللفظية والسياقية، بآيات من سور مختلفة، وقفنا على مبادئه

العامة ومميزاته الخاصة التي تمثلت في ثلاثة جوانب: تعليمية وجمالية وتفسيرية.

وبعد أن بينا المنهجية الخاصة لكتاب "البيان في روائع القرآن"، خلصنا إلى تقويم الكفاية العلمية والتطبيقية لنظرية تضافر القرائن النحوية، حاولنا ما أمكن التزام الموضوعية في الحكم لها وعليها.

ومهما يكن من أمر فإن ما قلت وما قيل وما سيقال عن الأستاذ الدكتور تمام حسان، فإن حسناته تفوق عثراته، وتكفل له أجر المجتهد الذي اجتهد وأصاب فنال أجرين كاملين.